المدونة
المجلد 10/ العدد 02/ ديسمبر2023. ص 215- 226

شعر الحكمة في لامية ابن الوردي (مقاربة موضوعاتية)

The Poetry of Wisdom in the Lamiyaof Ibn Al-Wardi (thematic approach)

د.عبد القادر سرير عبد اللّه*

د. برقاد أحمد♣

تاريخ الإرسال: 2022/06/29	تاريخ القبول: 09 /2023/04	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

تناولنا في مقالنا هذا موضوع "غرض الحكمة" في قصيدة اللاّمية المشهورة المنسوبة للشاعر ابن الوردي، حيث سعينا إلى مقاربة هذا النص الشعري الرائع في بعده الموضوعاتي؛ أيْ تطرقنا إلى بعض القضايا أو الموضوعات التي تناولها الشاعر موظفا الحِكم البديعة المؤثرة من أجل تبليغ رؤيته، وإيصال رسالته إلى المتلقي.

لقد تنوعت موضوعات الحكمة وتعددت وتشعبت في هذه اللاّمية، وقد بدا لنا أنّه من المحال الإحاطة بها جميعا لكثرتها، لذا اضطررنا أن ننتقيَ بعضاً منها فقط تماشيا مع طبيعة هذا المقال من حيث الحجم، ولقد اقتصرنا على ثلاثة موضوعات، هي: الدين، العلم والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: ابن الوردي، الشعر، الحكمة، اللاّمية، الدّين، العلم، المجتمع.

Abstract:

In this article, we dealt with the topic of "The Purpose of Wisdom" in the famous Lamaiyya poem attributed to the poet Ibn al-Wardi, where we sought to approach this wonderful poetic text in its thematic dimension; That is, we touched on some of the issues or topics that the poet touched upon, employing the impressive, impressive wisdom in order to communicate his

*جامعة علي لونيسي البليدة2 abdek.serier@gmail.com

♣جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة ahmed.bergad@univ-dbkm.dz

vision, and deliver his message to the recipient.

The topics of wisdom have varied and multiplied and branched out in this Lamaism, and it seemed to us that it was impossible to capture all of them due to their large number, so we had to select only some of them in line with the nature of this article in terms of size, and we were limited to three topics, namely: Religion Science and society.

Keywords*: Ibn Al-wardi, Poetry, Wisdom, The Lamia, Religion, science, society.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: سرير عبد القادر abdek.serier@gmail.com

1-مقدمة:

لازمت الحكمة الفعل القولي الإنساني منذ القدم، فنطق بها الفيلسوف والأديب، ورجل الدّين، الحاكم والمعلّم، وقد حازت في شعرنا العربي مساحات واسعة؛ حيث نجدها حاضرة بكثافة وقوة في إبداع الشعراء في مختلف العصور الأدبية المتتالية، منذ العصر الجاهلي إلى اليوم.

تُمثّل لامية ابن الوردي نموذجا كاملا ورائعا لشعر الحكمة في شعرنا العربي القديم، ولقد خالف الشعراء السابقين في هذا الغرض الشعري، من حيث أنّه خصّص القصيدة كلها لهذا الغرض الذي كان يرد من قبلُ واحدا في القصيدة من بين أغراض أخرى متعددة، كما هو الحال في معلقات الشعراء الجاهليين، وفي معظم قصائد الشعراء الذين حذوا حذوهم من بعدهم.

تعددت موضوعات الحكمة في هذه اللّامية، مثل الموعظة الدينية، الحث على الأخلاق الفاضلة، فن التعامل مع الآخر، وغيرها من الموضوعات الأخرى التي لها علاقة بحياة الفرد والمجتمع عموما، ولقد صاغ ابن الوردي حكمه في قالب لغوي رائع، وأسلوب بلاغي جميل، وإبداع شعري ساحر.

نتناول في مقالنا هذا أهمّ موضوعات الحكمة التي وردت في هذه اللاّمية، والتي نرى أنّها لها علاقة وطيدة ومباشرة مع واقعنا المعيش اليوم، كما نسعى إلى الكشف عن المرجعية الدينية والاجتماعية التي تؤسس منطلقات الشاعر الإبداعية والمعرفية.

أولا ـ ترجمة الشاعر ابن الوردي

اسمه الكامل هو عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس المعرّي بن الوردي، ولد عام إحدى وتسعمئة وستّين للهجرة الموافق لـ 1553 للميلاد، بمدينة المعرّة السورية، ومنها أخذ لقبه» **المعرّي**". تتلمذ على أشهر علماء عصره «فأخذ عن القاضي شرف الدّين البارزي، وعن الفخر خطيب جبرين بحلب"[1]، وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية عن كثب، حيث كان ملازما له حينا من الدهر، وأخذ عنه الفقه والتفسير، وكان يصلّي خلفه، وقد شهد له بمكانته العالية بين العلماء، فقال» هو أكبر من أنْ ينبّه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثلَه"[2].

ـ آثاره العلمية:

عُرف ابن الوردي بغزارة إنتاجه العلمي في فنون شتى، مثل الفقه والتاريخ والأدب والنحو وغيرها من العلوم، وقد شهد له بذلك كثير من المؤرخين وأصحاب التراجم، أمّا شعره فقد بلغ منزلة عالية بين أقرانه من حيث الشكل والمضمون، ولاميته خير شفيع على هذا. لقد خلّف إبن الوردي إرثا علميا عظيما في مختلف العلوم والفنون، نذكر فيما يلي بعضا منها:

«ـ ضوء الدرّة على ألفية ابن المعطي.

ـ شرح ألفية بن مالك.

ـ اختصر ألفية بن مالك في مئة وخمسين بيتا.

ـ"تتمّة المختصر" المعروف بتاريخ ابن الوردي.

ـ اللّباب في الإعراب.

ـ ألفية في تعبير الأحلام.

-"تذكرة الغريب" منظومة في النحو»[3].

وفاته:

تُوفِّي ابن الوردي في السابع عشر من ذي الحجة سنة تسعين وأربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية الموافق لـ1377 للميلاد، حيث مات مطعونا في الطاعون العام الذّي أصاب حلب.

ثانيا ـ موضوعات الحكمة في اللّامية:

إنّ الموضوعات التي تناولها ابن الوردي في لاميته متعددة ومتنوعة، شملت مجالات وحقولا دلالية مختلفة، تمسّ جوانب كثيرة من حياة الإنسان الخاصة والعامة، الدينية والأخلاقية، العلمية والعملية، وحتى السياسية، وقد اضطررنا في بحثنا هذا إلى الاختيار والاختصار مراعاة لطبيعة المقال من حيث الحجم، لأنّ التطرق إلى كلّ ما ورد في هذه القصيدة من حكم يتطلب منّا إنجاز عمل ضخم لا يسعه كتاب بمفرده.

1 ـ الحكمة في الحقل الديني:

لقد عرف الشعر العربي غرضا جديدا مع ظهور الإسلام، ألا وهو الغرض الديني، وكان الصحابي حسّان بن ثابت ـرضيَ اللّه عنه ـ أوّل شاعر نحا هذا النحو، حتى نال شرف لقب» **شاعر الرسول**" ـ صلّى اللّه عليه وسلّم، ثم رسخت قدَم هذا الغرض في أرض شعرنا العربي رسوخا ثابتا، ولاتزال كذلك إلى اليوم. تناول ابن الوردي هذا الحقل أو الغرض في جوانبه المختلفة، حيث ذكّر بالتقوى وحث على اتباع الشرع، وهجر الخمر، ووصّى بتذكر الموت، والاتعاظ بمن سبق من الكفار الطغاة المتكبرين، وغيرها من الموضوعات الدينية المتداولة في شعرنا العري في عمومه، ولكننّا نقتصر على تحليل ثلاثة أبيات فقط منها في هذه القصيدة اللّامية.

أ ـ البيت السابع: الحثُّ على التزام التقوى

واتقّ اللّه فتقوى اللّه ما* **ما جاورت قلب امرئ إلاّ وصلْ**

تضمّن هذا البيت نصيحة أو وصية غالية وبليغة، هي لزوم تقوى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ لأنّها هيَ رأسُ الأمر كلِّه، والتقوى لغة تُحيل علىحِفْظ الشيء عما يؤذيه، جاء في لسان العرب في مادة **وقيَ**» وقاه اللّه وَقْيًا ووِقاية وواقِية: صانه...وَقَيْت الشيْء أقيه إذا صُنْتُه وسترتُه عن الأذى»[4]، وعليه فالتقوى في دلالتها اللّغوية تعني أن يسعى الإنسان ويجتهد من أجل حفظ ذاته من أيّ ضرر أو أذى يصيبه، أمّا في الاصطلاح الديني فلفظ التقوى يأتي بمعانٍ متعددة ومختلفة ولكنها كلَّها تصبُّ في مفهوم واحد مشترك هو طاعة اللّه بامتثال أوامره طمعا في رضاه ورحمته، والانتهاء عن محارمه خوفا من سخطه وعذابه، وقد رُوِيَ عن الإمام عليّ بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ أنّه عرّفها بقوله:» التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل"، كما عرّفه طلق بن حبيب» حدّثنا يحي بن آدم، عن سفيان، عن عاصم قال: قلنا لطلق بن حبيب صف لنا التقوى قال: التقوى عمل بطاعة اللّه، رجاء رحمة اللّه، على نور من اللّه، والتقوى ترك معصية اللّه، مخافة اللّه، على نور من اللّه»[5].

في الشطر الثاني من هذا البيت يبشّر ويؤكد الشاعر النتيجة الإيجابية والمفرحة التي يصل إليها كلُّ إنسان اتَّسم بالتقوى والصلاح والاستقامة على منهج اللّه ـ عزّ وجلّ ـ إنّها الوصول إلى الغاية العظمى، إنها نيل رضا اللّه ورحمته في الدنيا والآخرة، غاية جمعها اللّه -عزَّو جلَّ- في قوله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾[6]؛ حياة طيّبة سعيدة في هذه الحياة الدنيا، وجزاء حسن يوم القيامة في جنة الخلد إن شاء اللّه.

احتوى هذا البيت السابع في القصيدة حكمة عظيمة إذا تدبرها الإنسان في مضمونها ومآلها ظفر بسعادة الدارين كما أكدّته الآية السابقة، ولقد وعد اللّه -سبحانه وتعالى- عباده المتقين بذلك، ومن أصدق من اللّه قيلا؟

ب ـ البيت السادس: النهي عن شرب الخمر

واهجر الخمر إن كنت فتى* كيف يسعى في جنون من عقل**

الخمر أمّ الخبائث كما وصفها سيّدنا عثمان بن عفّان -رضيّ اللّه عنه-لأنها هي سبب كل خطيئة، ومصدر كلّ ذنب، وطريق الخسران في الدنيا وفي الآخرة، لذا نجد ابن

الوردي ينصح في هذا البيت بالابتعاد عن الخمر وتجنب شربها، لأن الإنسان العاقل لا يغتال عقله بنفسه، ولا يسيئ لأخلاقه ولا لسمعته الشخصية ومكانته الاجتماعية؛ إنها حكمة بليغة وصادمة للشخص الغافل ومستفزة له «**كيف يسعى في جنون من عقل**"، إن نعمة العقل ما بعدها نعمة للإنسان، به فضلّه اللّه على الحيوان، وبه يفكر ويَميز الخطأ عن الصواب، وبه يعرف الخير من الشر، و"مضار الخمر أنّه يُذهب العقل حي يهذي الشاربُ كالمجنون، ويُفقد الإنسان صحّته"[7]، وعليه فإنّ شرب الخمر اغتيالا للعقل، وإهانة لصاحبها ومساس بكرامة الإنسان، وهذا لعمري جنون ما بعده جنون.

لقد صدق الشاعر في حكمته هذه، إن شرب الخمر سبب مباشر وواضح لكثير من المشاكل والمحن والخسائر التي يُصاب بها الإنسان اليوم في مختلف مناحي الحياة؛ الصحية والاجتماعية وكذا حوادث المرور وجرائم القتل المروعة التي تسببها الخمر، والأرقام التي تنشرها الهيئات والمؤسسات المحلية والدولية المتخصصة في المجالات المذكورة آنفا (يتسبّب تناول الكحول في وقوع 3.3 مليون حالة وفاة كل عام، أي شخص واحد كل 10 ثوان، وهذا يمثل 5.9% من جميع الوفيات)[8]، خير دليل على ما جاء في هذه الحكمة المؤثرة في نفس كل من ألقى السمع وهو شهيد.

ج . البيت الثامن: حقيقة التقوى

ليس من يقطع طرقا بطل* إنّما من يتقي اللّه البطل**

قطع الطريق قديما كانت خصلة ذميمة عُرف بها قوم من المفسدين كانوا يعترضون القوافل في الصحاري وفي البوادي قصد سلب النّاس أموالهم وأمتعتهم، وكان ضعاف العقول والنفوس يعُدُّون ذلك شجاعة وبطولة، والحال لم تتغيّر اليوم، وإنّما تغيرت الوسائل وأساليب السرقة والاعتداء على الممتلكات الخاصة والعامة.الشاعر يرفض تلك البطولة الزائفة، ويدلّنا على البطولة الحقّة في الشطر الثاني من البيت في عبارة موجزة رائعة تحمل حكمة رائعة»**إنّما من يتقي اللّه البطل**".نعم إنّ من يمتثل لأوامر ربّه ـ عزّ وجلّ ـ وينتهي عن نواهيه هو البطل الحقّ، لأنّه استطاع أن يقطع الطريق على الشيطان حتى يمنعه من الولوج إلى قلبه وعقله، لأنَّ القلب محلّ وقوع الشهوات، والعقل محلّ إثارة الشبهات؛ والبطل الحقيقي هو الذي من يعرف كيف يقي نفسه من

شهوات الدنيا الزائلة التي تذهب لذتها بسرعة وتبقى عقوبتُها، وتدوم مرارتها في النفس، ولا تمحها إلا التوبة النصوح , ورحمة من اللّه تعالى، أمّا الشبهات والوساويس التي يثيرها الشيطان فلا حلّ لها إلاّ التزام التقوى وطلب العلم الشرعي بعد الدعاء والتضرع إلى اللّه سبحانه وتعالى»إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى" سورة الكهف 13. الآية صريحة وواضحة، الإيمان والالتزام بأمر اللّه سبب في زيادة الإيمان وقوته ودوامه، وتلك هي التقوى الواردة في هذه الحكمة الغالية.

2 . الحكمة في الحقل العلمي:

العلم أساس الحياة، ودونه لا يستقيم دين ولا تقوم دنيا، قال اللّه تعالى مخاطبا نبيّه محمد . صلّى اللّه عليه وسلّم .« **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** »[9].فالعقيدة الإسلامية قائمة على العلم، وإعمار الأرض في كل مجالاتها المختلفة قائم على العلم، فمن أراد الآخرة عليه بالعلم، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم.لقد خصّص ابن الوردي ما يقرب من عشرة أبيات لهذا الموضوع ، نذكر ثلاثة منها فحسب على سبيل التمثيل.

ا . البيت الثامن عشر: الجدّ في طلب العلم

اطلب العلم ولا تكسل فما*أبعد الخير على أهل الكسل**

لا ينال العلمَ خامل أو كسول، إنّما اكتسابه يتطلب ويقتضي منّا أن نبذل من أجله الجهد والمال والوقت، وحتى العمر كلَّه ولا يسَعَه» فينبغي لطالب العلم أنْ لا يَنِي في طلبه وينتهزَ الفرصة به، فربّما شحَّ الزمان بما سمح وضنّ بما منح»[10]، فعلى طالب العلم أن يغتنم فراغه قبل شغله، وشبابه قبل هرمه، وصحته قبل مرضه، ورغم ذلك لا يحصل كلَّ ما يريد من العلم، فهذا سيبويه . رحمه اللّه . مات وفي نفسه شيء من» **حتّى**». إنّها حكمة ناصحة فاضحة، ناصحة لأصحاب الهمم العالية، وفاضحة للكُسالى والخاملين:» فما **أبعدَ الخير على أهل الكسل**»، إنّها حكمة موجزة مُركَّزة مُعبّرة.

لقد ضرب أسلافنا أمثلة رائعة في طلب العلوم ومختلف الفنون -قراءة وانتاجا وترجمة- في شتى المجالات (الفقه، التفسير، الأدب، التاريخ، الطب، الرياضيات...)، رغم

الظروف والسياقات العامة التي عاشها هؤلاء العلماء الأفذاذ، حيث لا كهرباء ولا إعلام آلي، ولا أموال ولا جوائز لا وظائفَ.

الخمول والكسل والتسويف أعداء للعلم وللمعرفة والرقيّ، الشاعر ابن الوردي يقرّر ويؤكد لطالب العلم أهمية طلب العلم دون تراجع ولا توقف، فلا خير ونجاح ولا علمَ لمن فضّل الراحة والنوم على الاجتهاد والنجاح.

ب . البيت العشرون: التحذير من تفضيل النوم على طلب العلم

واهجر النّوم وحصّله فمن ***يعرف المطلوب يحقر ما بذل

يرشد الشاعر طالب العلم إلى الطريقة المثلى لطلب العلم، ألا وهي عدم الإفراط في النوم والتلذذ به، بل عليه سهر اللّيالي الطوال إذا أراد أن يدخل في زمرة أهل العلم المُبجَّلين، أمّا من آثر النوم على العلم، فهو مع المُخلَّفين من العوام والأميين ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[11] سورة المجادلة الآية 11. وقد صدق ابن الوردي في حكمته» فمن **يعرف المطلوب يحقر ما بذل"**، عندما يصل طالب العلم إلى مبتغاه ويحقق هدفه وحلمه، ينسى كلَّ التعب والمعانة والمشقة التي بذلها في سبيل بلوغ الدرجة العلمية التي وصل إليها، والمكانة الاجتماعية التي حازها بفضل العلم.

ج . البيت الواحد والعشرون: التحذير من التشكيك في طلب العلم

لا تقل قد ذهبت أربابه ***كل من سار على الدرب وصل

في هذا البيت يدحض الشاعر بعض شبهات المتقاعسين والمثبطين عن طلب العلم؛ ومنها قول بعضهم أن العلم فقد قيمته ومكانته، وأن العلماء لم يعد لهم قدر في المجتمع، وذلك بسبب شيوع الجهل وطغيان المال، واشتغال العوام بالتفاهات، وما أشبه اليوم بالبارحة! لكنّ رغم كلّ تلك الشبهات والمثبطات المُثارة في وجه طالب العالم، إلاّ أن ابن الوردي يَصوغ لنا حكمة مُحفزة مُبشِّرة»**كل من سار على الدرب وصل»**؛إنّها وصية في ثوب حكمة يحتاجها كل طالب عالم في كل عصر ومِصر.لأن العالم خير من الجاهل على كل حال، خاص عندما يصل إلى هدفه الذي حدّده ووضع له خطة» **الدرب»** كما عبّر عنه ابن الوردي، وأعدّ له العُدّة ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ كلاّ لا يستويان» كما لا يستوي الأعمى والبصير، والظلمات والنّور، والظل والحرور، والأحياء والأموات، والإنسان والبهيمة، وأصحاب الجنّة وأصحاب النّار»[12]. لا ولن يفقد العلم حقيقته ومكانته في الحياة مهما زعم العابثون، وشكّك المشكّكون، واستهزأ المستهزئون، لأن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ فضّل العلماء على الذين لا يعلمون، وجعل العلم طريقا للجنّة، وإذا قضى اللّه أمرا، فغيره بهتان وضلال.

3 ـ الحكمة في الحقل الاجتماعي:

«**الأديب مهندس المجتمع**» مقولة من مقولات الواقعية الاشتراكية، معاصرة في مبناها، قديمة في معناها، وتُحيل هذه المقولة على تحديد وظيفة الروائيين والشعراء في بيئتهم الاجتماعية، ألا وهي وظيفة التوجيه الفكري والبناء المعرفي والتربية السلوكية لأفراد المجتمع، والشعر خاصة عند العرب «مجنّد لخدمة القيم الفاضلة، والدفاع عن أمجاد القبيلة، وبثّ الأخلاق الخيّرة الحميدة في نفوس الأجيال، بما له من أثر نفسي، وقدرة على النفاذ إلى القلوب»[13]؛ وهذا ما نجده واضحا جليّا في لامية ابن الوردي، حيث خصَّص مساحة فسيحة من القصيدة للوصايا والحكم التي تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع منطلقا من المرجعية الفكرية والأخلاقية الإسلامية، نذكر ثلاثة نماذجَ منها فيما يأتي:

أ ـ البيت التاسع والثلاثون: قيمة الإنسان ما يحسنه من عمل

لا تقل أصلي وفصلي أبدا إنَّما*أصل الفتى ما قد حصل**

كان الفرد العربي قبل الإسلام يُفاخر بنسبه وحسبه وقبيلته، فأصل الشخص وحسبه قبل علمه وعمله وخُلقه؛ وعليه كانت العرب تفضل الأسود على الأبيض وابن القبيلة التي تخدم الكعبة على غيره من القبائل البعيدة عن مكة، وأبناء الأشراف والتجار الكبار أعلى درجة وأسمى شرفا على غيرهم ولو كانوا ذوي علم ومروءة، ولكن لمّا جاء الإسلام غيّر معايير التصنيف، ومقاييس السمو والعلو في المجتمع «**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**»[14]. فالتقوى هي الميزان عند اللّه ـ سبحانه وتعالى الذي يتفاوت به النّاس ويتفاضلون به في الدنيا والآخرة؛ التقوى بمعناها الشامل الذي يحيل على الالتزام

بأوامر اللّه ونواهيه -كما ورد آنفا-، فينطلق في كون اللّه الفسيح يتعلم ويُعَلِّم ويعمل، حيث أنَّ حسبَ الإنسان وجاهَه يعلو بقدر ما يُنجز من أعمال الخير والصلاح والبرّ « وسنّة اللّه ـ التى أخبرنا القرآن أنّها لا تتبدّل ولا تتحوّل ـ لا تسمح لفارغ أو قاعد أو كسول أنْ يظفر بما يريد، أو يحقق ما يأمل»[15]، وقد صاغ إبن الوردي هذه المعاني السامية كلَّها حكمةً مُكثّفة دلاليا في قوله «**إنّما أصل الفتى ما قد حصل**»؛ أيْ أن عمل الإنسان هو الذي يرفعه بين أفراد المجتمع وليس جاهه أو حسبُه أو عائلته.

ب . البيت الثامن والأربعون: عدم الاكتراث بسفاسف الأمور

وتغاضى عن أمور إنّه لم * يفز بالحمد إلا من غفل**

«**الغفلة تمام الفطنة**» قاعدة سلوكية رصينة، ومبدأ حكيم في التعامل مع الخلق، يعمل به الحكماء والعقلاء من النّاس؛ ويعنى هذا السلوك أنَّ الإنسان العاقل والحكيم عليه ألاّ يبالغ في تتبع كل حركات وسكنات وسقطات الأشخاص الذين يتعامل ويحتكّ معهم في حياته اليومية، خاصة من المقربين، مثل الأهل والجيران وأقرانه في محلّ العمل، بل من الحكمة والتعقل أن يرتب أعمال الآخرين وتصرفاتهم حسب سلّم أولويات مضبوط وِفق مقتضيات الشرع والعقل والعرف السائد في المجتمع، بحيث يغض طرفه عن الأمور البسيطة غير ذات بال، مثل زلاّت اللّسان الخفيفة والتصرفات السيئة المتسرعة والأخبار غير الموثقة التي تصدر من الآخرين، وهذا السلوك يتوافق مع المعنى العام الوارد في قوله تعالى:﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا** ﴾[16]. أيْ أن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ يغفر سيئات عباده الذين لا يرتكبون كبائر الذنوب، لذا قال ابن الوردي في حكمته هاهنا» **لم يفز بالحمد إلا من غفل**"، يقصد أن الإنسان الحكيم هو الذي يتغاضى عن صغائر الأمور، ويتظاهر بعدم سماع أو رؤية بعض التصرفات السيئة التي يقترفها بعض الناس المحيطين به في المجتمع.

إنَّ ابن الوردي يعني في حكمته ههنا في هذا البيت أنّه إذا صار الشخص يردُّ على كل من يؤذيه بلسانه بالمثل، ويتعارك مع كلّ من أساء إليه بيده، ويكيد إلى كل من يكيد

إليه ، يكون بذلك قد جمع الخصال السيّئة كلّها التي تفرقت بين الآخرين في شخصه هو، وبذلك لم يفز بالمدح والشكر والحمد.

ج . البيت الثاني والستّون: آداب الزيارة

غِبْ وزُرْ غبّا تزدْ حبّا فمن ***أكثر الترداد أضناه الملل

حكمة أخرى مرشدة مربيه يسوقها لنا ابن الوردي في الشطر الثاني من هذا البيت، تبرز لنا بكل وضوح رجاحة في العقل وبسْطة في العلم وخبرة في الحياة لدى ابن الوردي، بل يمكن تقسيم البيت إلى جزئين؛ في الشطر الأول «زر **غِبّا تزدد حبّا**» مثل عربي اقتبسه ابن الوردي ممن سبقوه، ومعناه» زرْ قليلا، حتى لو كان المَزور من أقاربك، والقرب نسبيّ، والملل نسبيّ، ولكل حالة لَبوسها" [17]، أيْ أنّ الإنسان الحصيف عليه ألاّ يكثر ولا يبالغ في زيارة النّاس حتى لو كانوا من الأقربين، لأنّ ذلك السلوك الثقيل على النفس يكون سببا مباشرا في نشوء الملل والنفور بين الزائر وأهل البيت، خاصة إذا كانت الزيارات الكثيرة دون ميعاد معروف، وفي أوقات غير مناسبة،» **فمن أكثر الترداد أضناه الملل**»؛ أضناه الملل أيْ أضعفه الملل، أيْ أن الشخص المِلحاح في الزيارات يكون مآله أنّ سيصير مخلوقا ثقيلا على النفوس، مكروها لدى الجميع، ومنبوذا في المجتمع، وكلّ هذه الخصال المذمومة تُرديه إلى أسفل السافلين في المجتمع، وتجعل منه إنسانا ضعيفا وصغيرا في عيون من يعرفه من أصدقائه وأعدائه على حدّ سواء.

خاتمة:

ابن الوردي شاعر بارع مجيد في غرض الحكمة، وتجلّى ذلك في لاميته موضوع بحثنا هذا، حيث لا يكاد يخلو بيت منها، وممّا زاد هذا النّص الشعري رونقا وبهاء زيادة على حكمه الباهرة المؤثرة هو صوغها في حُلَّة بلاغية جميلة ساحرة.

شملت حِكم ابن الوردي في هذه اللّامية كثيرا من مناحي الحياة المختلفة: الدينية، العلمية، الاجتماعية، الأخلاقية والسياسية، وغيرها من المجالات الأخرى، نحن قصرنا بحثنا في ثلاثة مجالات فقط، هي المجال الديني والعلمي، والاجتماعي.

لاحظنا بل وتحققنا بأنّ كلّ ما تطرق له الشاعر من موضوعات وقضايا في عصره ـ على مستوى الفرد والمجتمع ـ تعكس كثيرا ممّا نعيشه اليوم في مجتمعاتنا المعاصرة، بل لو أخفينا تاريخ نظم هذه اللّامية على بعضنا اليوم لظنّ أنّها قصيدة لشاعر معاصر نظرا لتطابق وتشابه أحوال وتصرفات وسلوكات الإنسان بين الماضي والحاضر.

*** *** ***

الهوامش:

1 ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» ابن حجر العسقلاني، ص 116/3، نقلا عن ديوان ابن الوردي . تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الأفاق الجديدة، القاهرة، مصر، 2006، ص 8.

2. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1978، ص136/3. نقلا عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3. يُنظر ديوان لامية ابن الوردي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المرجع نفسه، ص10.

4. يُنظَرُ قاموس» لسان العرب» لمحمد ابن منظور، مادة» وَقِيَ».

5. الإمام أبو بكر بن أبي شيبة، المُصنَّف، تحقيق محمد عوّامة، دار قرطبة، بيروت، لبنان، 2006، ص9458.

6. سورة النحل، الآية97.

7. محمد علي الصّابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مكتبة رحاب، الجزائر، 1990، ج1، ص 281.

8. موقع» العين الإخبارية». al-ain.com بتاريخ 12ماي 2022.

9. سورة محمد، الآية 19.

10. أبو الحسن علي البصري الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدّين، تحقيق محمد صباح، منشورات دار مكتبة الحياة، 1986، ص51

11. سورة الزمر، الآية 9.

12. العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1996، ص77.

13. وليد إبراهيم قصّاب، في الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1916، ص86.

14. سورة الحجرات، الآية13.

15. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط9، 1983، ص302.

16. سورة النساء، الآية 31.

17-عبد العزيز بن علي الحربي، تفاصيل الجمل (شرح لامية ابن الوردي)، دار ابن حزم، بيروت لبنان،2012، ط1، ص82.